

الزربية الجزائرية في الكتابات الأجنبية: تاريخ وتراث

The Algerian carpet throws the colonial writings: History and heritage

نور الدين إيلال ، أستاذ التعليم العالي، جامعة البليدة 2، الجزائر، illal.nourrdine62@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/30

تاريخ القبول: 2026/06/20

تاريخ الاستلام: 2026/05/22

ملخص:

إن الزربية الجزائرية تراث قديم يعبر عن قدرة المجتمع الجزائري على الإبتقان، والإبداع، والفن. فهي حرفة متواترة ومتوارثة، وقد ساعدها على ذلك طبيعة المجتمع الجزائري الذي يعيش على تربية الأغنام بالدرجة الأساس، فكانت أصوافها المادة الرئيسية في صناعتها - الزربية - ومنه جاء مقالنا الموسوم " الزربية الجزائرية في الكتابات الأجنبية: تراث وتاريخ حاولنا فيه تسليط الضوء على ما ورد في الكتابات الكولونيالية حول موضوع الزربية ومكانتها بالنسبة للطرفين، الجزائري والأجنبي.

كلمات مفتاحية: الزربية الجزائرية؛ تربية الأغنام؛ الرأسمالية الكولونيالية؛ الأهازيج؛ العنصر الأوروبي.

Abstract:

The Algerian carpet is a very old craft dating back to before the ottoman period, it represents the ability of Algerian society, especially the women and their capacity for mastery and creativity. It is an inherited craft, aided by the nature of this society which lived on sheep farming, as their wool was the basic material in its manufacture. Hence came our article "The Algerian carpet: history and heritage through colonial writings" in which we tried to shed light on what was mentioned in colonial writings about the carpet and its status among both the local and foreign parties.

Keywords: Algerian carpet; Sheep farming; Capitalist colonial; The songs; The strangers.

مقدمة:

لا تزال الزربية الجزائرية تلقى رواجاً وإعجاباً من قبل الكثير من الأجانب إلى اليوم، كما أنها تترجم قدرة أنامل الجزائريين على الإبداع والعمل المتقن، فحرفة النسيج، حرفة متجذرة تعود على الزمن البعيد، وانتشرت بشكل ملفت للانتباه في مناطق عديدة من الوطن حتى أصبحت تضاهي في أهميتها وزخارفها تلك المصنوعة في البلدان الآسيوية وفي مقدمتها الزربية الفارسية.

لقد ساعدها على ذلك، مقدرات الجزائر ومقومات اقتصادها التقليدي المرتبط بالدرجة الأساس بتربية المواشي، فكانت أصوافها توفر المادة الخام سيما في المناطق التي اشتهرت بتربية الأغنام. إن اطلاعنا على المصادر الأجنبية التي تؤرخ للزربية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية جعلنا نخوض في هذا الموضوع الذي من خلاله نحاول إعطاء صورة نمطية عن الزربية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية من خلال ما ورد في تلك الكتابات.

ومن الأهداف المتوخاة نخصرها في:

- تشجيع البحث في تراثنا الذي لا ينفصم عن ذاكرة المجتمع الجزائري بكل أطيافه.
- إدراك حقيقة الكتابات الكولونيالية اتجاه المكون الثقافي الجزائري.
- تبيان أهمية الزربية الجزائرية في الجزائر والتي برزت مع المرأة باعتباره نشاط أنثوي ساعد على تلبية متطلبات العائلة في تلك الظروف العسيرة من عمر الاستعمار.
- عن المنهجية المعتمدة، لا يخفى على أحد أن الدراسات الأثرية تتقاطع حتماً مع المنهج التاريخي ومنه كان هذا الأخير الذي ساعدنا على سرد المعلومات ووصفها وتحليلها. عن إشكالية الموضوع تلخص في دواعي اهتمام السلطات الاستعمارية بالزربية الجزائرية وأهدافها الخفية التي كانت ترمي إليها، هذا ما سنحاول الإجابة عنه.

عن نتائج البحث، فإننا توصلنا إلى ما يلي:

- أولاً: لم تكن السياسة الاستعمارية اتجاه المرأة اعتبارية ولا عشوائية بالقدر الذي كان يوحي بأنها كانت وسيلة لتحقيق المشروع الرأسمالي وذلك من خلال التحفيزات التي تلقتها في مراكز التكوين والتلقين.
- ثانياً: كانت الزربية الجزائرية ترجمة للاقتصاد التقليدي كونه كان موجوداً في كل خيمة التي تحولت بقوة الأشياء إلى ورشات عائلية.

نظرة عن أبرز المصادر الأجنبية التي أطرقت موضوع الزربية:

ساهمت رحلتنا البحثية في إثراء رصيدنا المعرفي عن تاريخ وتراث الزربية الجزائرية من خلال ما جاء في الكتابات الأجنبية التي رأينا بأنه من الواجب علينا التعريف بها ولو بشكل مختصر لتكوين فكرة عن تلك الدراسات. ومن الدراسات النوعية التي أفادتنا في مقالنا منها ما يجمع بين وثائق الحكومة العامة، ومنها ما يرتبط بالمصادر المكتوبة والكتابات الظرفية لمتخصصين في مجال النسيج بالإضافة إلى الصحف والجرائد المحلية وأطروحة دكتوراه.

من المصادر نذكر، كتاب "الاستيطان الحضري في الميزاب: دراسة اجتماعية افريقية" تتضمن 267 صفحة مطبوعة بمدينة الجزائر سنة 1922،

"La colonisation urbaine au Mzab: étude de sociologie africaine.",
لصاحبه ميرسييه وهو أستاذ في كلية الحقوق طبع كتابه في سنة 1922، وكتاب أ. بيل وريكارد،
فالأول كان مديرا لمدرسة تلمسان، والثاني كان مفتش التعليم الفني والصناعي للمدارس الأهلية بالجزائر، اللذان
نشرتا كتابهما المشترك والموسوم "الصناعات الأهلية للجزائر: عمل الصوف بتلمسان"،

"Les industries indigènes de l'Algerie",
الذي طبع في سنة 1913 بالجزائر، ولعل أهمية هذا المصدر تكمن في مؤلفات صاحبه الذي نشرت
له كتب في فترات متعاقبة من بينها:

- Le travail de la laine à Tlemcen 1913.
- La menuiserie mauresque dans les monuments arabes de Tlemcen 1915.
- Les broderies marocaines.

بينما صديقه ريكارد، المفتش، ومحافظ متحف مدينة فاس المغربية، تناول جزئية في الموضوع، من خلال
محاضرة قدمها موسومة "فنون ريفية"، ألقاها يوم 05 فيفري 1916، بمدرسة أهالي المسلمين بمدينة فاس.
وكتاب ديبرا، الموسوم "ملحق مذكرة للصناعة النسيجية الذي طبع سنة 1920،

"Aide-mémoire de l'industrie textile",

ووجدت أيضا أطروحة دكتوراه من كلية القانون بجامعة ليل الفرنسية، لسيلفيان إيلي و

"L'enseignement des métiers féminins en Algerie",

بعنوان تعليم الحرف الأثنية في الجزائر "والتي نوقشت بتاريخ 09 جوان من عام 1937 وطبعت سنة 1937 بمطبعة مارشان بباريس. هذا، بالإضافة إلى الجرائد مثل جريدة "المخبر التلمساني"، وجريدة "الأخبار التلمسانية".

1.. النسيج حرفة تقليدية رائجة وشائعة:

قبل الوصول إلى مرحلة العمل لإنجاز الزربية بشكل خاص والنسيج بشكل عام، توجد مراحل ضرورية وأساسية مرتبة كما يلي، مرحلة غسل الصوف، ثم مشطها، فعملية الغزل ثم تحويلها إلى خيوط جاهزة لمباشرة عمل إنجاز الزربية.

من الناحية الفنية، تميزت الزربية الجزائرية بالتنوع المستمد من العنصر العربي والبربري، امتزجت فيه الألوان والأذواق، فكان لكل منطقة طريقتها في صنع الزربية تحت تأثير عدة عوامل من بينها: طبيعة الصوف، اللون، شكل الرسوم ... ففي منطقة جبل عمور وتلمسان كانت خلفية الزربية حمراء أو زرقاء أو مزوجة أحيانا، وفي منطقة آفلو وفرندة تميل إلى اللون الودي، وفي القليعة يغلب اللون الأصفر والأزرق أو الخلفية الخضراء والبنية¹.

2.. الأهازيج والتقاليد الخاصة بصناعة الزربية:

تضمنت الكتابات التي اطلعنا عليها جملة من الطقوس التي كانت تواكب عمليات ومراحل إنتاج الزربية من البداية إلى النهاية، فلم تكد تمضي مرحلة من المراحل للوصول بالزربية إلى النهاية حتى تحضر جملة الأهازيج تباينت فيما بين المناطق المنتجة للزربية، ترددها النسوة بشكل ملفت تناقلته تلك المصادر، ففي منطقة تلمسان تردد المرأة التلمسانية عبارة "الصوف تستر وتنحي المنكر" هذا ما يوحي إلى أهمية صناعة الزربية لتلبية متطلبات وحاجات العائلة، وعند فتح المرأة التلمسانية جزء الصوف لتنقيتها من الشوائب كالأشواك تضع في فمها ما يعرف "بعود الريح" قائلة: "يا عود الريح وليلي شباب صغير نزوذك، يا عود الريح أرواح عندي نزوذك أو يا عود الريح انحل نزوذك"، بعد فترة قصيرة من الزمن تنزع العود من فمها فإذا تغير لون العود تحت تأثير البزاق فهذه بشرى بيع مريح، والعكس صحيح².

¹ Syndicat d'initiation de Tlemcen, Tlemcen et sa région, Toulouse, 1921, P 43.

² Syndicat d'initiation de Tlemcen, Op.cit, P 45.

عند غسل الصوف، تردد أيضا أهازيج خاصة بالمرأة التلمسانية مطلعها،

بسم الله، بسم الله

طارت عين الفار

أو عين الجار

أو عين داخل على باب الدار

أو عين من لم يصلي على النبي المختار¹

كان العمل التعاوني سمة المجتمع الجزائري الذي يمثل صورة التكافل الاجتماعي والعمل الخيري، فهذه القيمة الإنسانية الذي دعا إليها الإسلام، ودعت إليها الضرورة مشهد حقيقي نجده في الكثير من المناطق الجزائرية التي كانت تمتهن صناعة النسيج والزربية، فعمل التويضة أيضا له يأخذ مكانه في هذه الأهازيج، حيث جاء في المصادر الأجنبية ما يلي في تلمسان وضواحيها:

"توزت يا خيائي، ما عندي ما تاكلو، من غير خبز الشعير والماء السامط من الدلو، حتى للصيف نخلفلكم، واللي عندي نبللو"²، إلا أنه عند المرأة التلمسانية تقوم بواجب الضيافة للنساء العاملات في مجال الصوف قد تكون من الجيران أو من العائلة الكبيرة، تطلعن المصادر على طبيعة تلك الوجبات المقدمة لهن فلا تدفع صاحبة الزربية بل تطعمهن، ففي الصباح تناولن قهوة وخبزا، وعند الغذاء تحضر الكسكس بالقديد مع اللبن حسب الفصول أو قد يكون كسكس والزبدة والسفة والعنب والبطيخ، أما في المساء طاجين البطاطا والقهوة أو الشاي بالفطير³. أما في منطقة سوق اهراس بالشرق الجزائري نقلت لنا المصادر الأجنبية ما كان يدور بين كبيرات السن والشابات عند العمل التطوعي والتعاوني، إذ تردد النسوة "نغنو ونزغرتو، نعملو عرس والبارود يضرب"، وبعد مرور وقت من العمل ينتقل الحوار بين النسوة المتزوجات والعازبات في جو مريح بقولهن:

- العجائز: الصوف بات، بات في حومة البنات.

¹ A. Bel et P. Ricard, Le travail de la laine à Tlemcen, Typographie Adolphe Jourdain, Alger, 1913, P 41.

² Ibid, P 43.

³ Ibid.

- البنات: والله ما يبات، انوضوا عليه فتات.

وفي حال تقدم البنات في عملهن ينشدن:

- الصوف بار، بار في حومة الكبار.

يردن النسوة

- والله ما يبور، انوضوا عليه الطيور.¹

عند عملية غزل النسيج، تتواصل الأهازيج جاء فيها: "يا غزالات الصوف، يا لقاطات الدمران،

انتاع من هاذ الصوف، نتاع عائشة بنت لكروف، تغزل نصف رطل من الصوف وتعشي على أوقية".

كانت النساء المطلقات تشاركن في ذلك، سعيا منهن لتأمين لقمة العيش لهن ولأبنائهن، حيث

استوقفتنا اهزوجة إليكم نصها: "لالة الصوفة كيف خرجتلي رطبة، لالة الصوفة كيف خرجتلي نقية، لالة

الصوفة كيف خرجتلي بيضة، بيك نكسي ليتامي، بيك نشري الكيلو، وبيك نشري القهوة"².

نواصل مع طقوس إعداد النسيج، ففي منطقة بجاية يوضع قليل من الفول في القدر المخصص للطعام،

وفي وادي سوف تمنع المرأة من لمس الصوف يوم الإثنين، وكذا الحال بالنسبة ليوم الجمعة باعتباره يوم عيد

المسلمين ومخصص للعبادة في كل من وادي سوف، والشلف، وسوق اهراس، والجلفة³. وفي منطقة بوسعادة،

عند الانتهاء من عمل الزربية ترمى كمية من التمر فيها تتقاسمه العائلة، وفي منطقة سوق اهراس يدعى الجيران

لتناول ما تيسر من الطعام غثا كان أو سمينا⁴ عن المدة التي تستغرق في صناعة الزربية، فيذكر بأن المرأة.

الماهرة.. تستغرق شهرين كاملين لإتمام زربية واحدة⁵، مما يؤكد هذا غوستاف كوبو الذي يذكر بأن زربية بطول

¹ Jean Servier, Les portes de l'année, rites et symboles, ed, Lefort, Paris, 1962, P 121.

² A. Bel et P. Ricard, Op.cit., P 48.

³ Prosper Picard, Techniques et rites du travail de la laine en Algérie, librairie orientaliste Paul Genthem, Paris, 1928, P 128.

⁴ Ibid, P 219.

⁵ Marcel Mercier, La civilisation urbaine au Mzab, étude de sociologie africaine, imprimerie administrative et commerciale Emile Pfister, Alger, 1922, P 245.

06 أمتار يتطلب عمل أربع نسوة وتستغرق عمل شهرين كاملين وتباع في السوق بسعر 300 إلى 350 فرنك¹.

3.. دور ومكانة صناعة الزربية في الاقتصاد العائلي:

وضعت المرأة الجزائرية بصماتها في ميدان النسيج، فيذكر سيرففيه (Servier) بأن النسيج هو الزوج الأنثوي للحرث، فاحتلت الصناعات النسيجية مكانة منذ زمن بعيد في الاقتصاد العائلي حرفة وتجارة²، تذكر مصادرها بأن الشواهد التاريخية تبين أن الزربية بجميع أشكالها ورسوماتها تعود إلى العهد السابق للعثمانيين، ولم تدخل عليها أية تحسينات مثلما هو الحال لبقية الأغراض المنزلية الأخرى مثل المصابيح الفخارية والأدوات المستعملة³.

كانت المساكن بمثابة ورشات لصناعة النسيج بصفة عامة والزراي بشكل خاص، ففي منطقة الميزاب كانت تقوم على نمطين عائلي ومحترفة باعتبارها ورشة العائلة حيث تعرف غرفة عمل النسيج الخاص بالزربية بـ “تيزفري” تقع في محيط ساحة البيت وبها مقعد طوي يلتصق بالجدار المقابل لدخل المنزل تجلس عليه النساجات، وحين الانتهاء من صناعة الزربية أو الزراي تجمع في بيت الرقاد⁴.

نبقى دائما مع منطقة الميزاب، كانت الزربية توضع مع فئة الأغراض الأساسية، فعند الزواج فإن كل أمراه ميزابية ملزمة بأخذ كل الأغراض إلى بيت الزوجية، ففي ذات المنطقة لدى قبيلة المدايح يهب الوالد إلى ابنته زربية من صنع منطقة جبل عمور المتميزة في هذا النوع من الأنسجة بالإضافة إلى الموائد والكراسي⁵.

لا يختلف اثنان في أن البيوت البسيطة والخيام كانت بمثابة ورشات لصناعة النسيج على اختلاف أنواعه وألوانه بحكم طبيعة الاقتصاد التقليدي والمعاشي الذي كان سائدا بشكل واسع في الأرياف وأقله في المدن، فكانت الأسر والعوائل تملك الكثير من رؤوس الأغنام تصل مجاميعها إلى الملايين حسب المعطيات الإحصائية التي أوردتها المصادر الرسمية للسلطات الاستعمارية المدنية منها والعسكرية.

¹ Gustave Couput, Les laines et les industries lainières de l'Algérie à l'exposition de 1889, Girault imprimeur du gouvernement général de l'Algérie, Alger, 1889, P 47.

² Jean Servier, Op.cit., P 121.

³ Marcel Mercier, Op.cit., P 259.

⁴ Ibid.

⁵ Ibid, P 230.

تعددت وسائل الاستزاق التي اعتمدت عليها القبائل والأعراش من مختلف الأغراض اليدوية التي وجدت مكانها في المجتمع الجزائري من فخار، وبرانس، ونحو ذلك والتي كانت تباع في الأسواق الأسبوعية، لكن لكيلا نبتعد عن الموضوع الرئيسي، دعنا نتكلم عن الزربية الجزائرية ومكانتها، فالأصواف توفرت بشكل ملفت للنظر في مناطق عديدة من البلاد، في الشرق والغرب والجنوب والشمال، حتى كادت مناطق تخصص في صناعة الزربية التي كان من خصوصيتها الوقت والصبر في آن واحد.

يذكر بأن أصواف الجزائر كانت متباينة في طبيعتها، منها ما كان عامر بالرمال والأشواك إضافة إلى كونها جافة وثقيلة¹، ونظرا لأهميتها، كانت الأسر أحيانا تلجأ إلى شراء كميات من الصوف، ففي منطقة الميزاب تتزود بكميات منها لصناعة البرانس والزراي لأن الكمية الموجودة محليا لا تكفي². فعلى سبيل المثال كان المشتري التلمساني للصوف يقلق من طبيعة الأصواف التي يشتريها، فكان يختار الأفضل والأحسن والأجمل، ففي فصل الصيف، يعمل مناخ منطقة تلمسان على تجفيف الأصواف بشكل جيد فهذه الخاصية المناخية يجعلها تستقبل من المناطق الجنوبية أكثر من 500.000 جزء سنويا وتخصص لها أربعة مغاسل كبرى دون احتساب الأحواض الخاصة³. هذا إلى جانب معالجة الأصواف بطريقة حديثة لأحد المعمرين المقيمين بتلمسان وهو السيد غراسي (Grassy) الذي كانت تساعده 80 عاملة جزائرية من كل الأعمار مما اقتضى نحو 18.000 فرنك لسنة 1908.

فإلى جانب الأصواف، توفرت في الجزائر النباتات الطبيعية الصبغية التي كانت تستعمل كثيرا في صبغ الزراي والتي كانت تستمد منها الألوان الزاهية والبراقة والأكثر مقاومة⁴.

إن جئنا إلى دور الزربية في الاقتصاد العائلي، فإننا نتوقف عند دورها في تحقيق متطلبات الأسرة الصغيرة لما يتم تسويقه في الأسواق اليومية أو في الأسواق الأسبوعية. فكانت الزربية تباع وزنا، فكانت عائداتها

¹ P. de Rat, Aide-mémoire de l'industrie textile, 2ed, Librairie polytechnique, Paris, P 110.

² Marcel Mercier, Op.cit., P 239.

³ A. Bel & P. Picard, Op.cit, P 20.

⁴ Gouvernement General de l'Algerie, Exposition coloniale de Marseille (Avril-Octobre) Alger, 1906, P 52.

تقدر بين 10 إلى 12 فرنك للكلغ الواحد¹، فكانت المرأة بمنطقة قصر البخاري تنسج نحو 55000 كلغ من الصوف سنويا منها 30700 مخصصة للاستهلاك المحلي، وفي منطقة تيارت حسب احصائيات كانت المرأة التيارتية تنتج نحو 810 زربية بمعدل 50 فرنك للوحدة أي بقيمة مالية إجمالية تتجاوز 40.000 فرنك².

4.. دور الزربية في المشروع الاقتصادي الرأسمالي الكولونيالي:

ارتبط المشروع الاقتصادي الرأسمالي بالسياسة الاقتصادية القائمة على استثمار واحتكار كل ما يمكنه لتحقيق ذلك، فاعتمدت السلطات الاستعمارية على عدة طرق، ولما انتهت إلى الإنتاج النسوي في السوق اليومية أو في السوق الأسبوعية، أدركت أهمية هذا العنصر الأنثوي في مشروعها، لذلك شرعت في إقحام المرأة بتوفير اليد العاملة الرخيصة، وأمام هذا التطور، باشرت الإدارة الاستعمارية في جملة من الإجراءات لتحقيق مصالحها الأنانية والحيوية لاستغلال العنصر النسوي وإشراكه لتكوين الثروة. لتحقيق ذلك، أوجدت مراكز التكوين والتلقين وهي من بين السياسات المعتمدة لاستغلال الأصواف الجزائرية والجهود النسوية، عكفت السلطات الاستعمارية على إنشاء مراكز التلقين الخاصة التكوين في مجال الزراري والنسيج، فكانت المدن الجزائرية تشهد الدروس المهنية المثلة في مراكز التلقين التي أنشئت مع مطلع القرن العشرين من بينها، ورشات الفنون الأهلية بمدينة الجزائر الي كانت تديرها السيدة "La comtesse d'Attanou" الخاصة بالطرز والدانتيل، ومدرسة الطرز للأهالي بذات المدينة الخاصة بتعليم فنون الزراري والطرز والتي كانت تديرها لوس بانابن (Luce Benaben)، ومدرسة البنات للأهالي بقسنطينة أيضا الخاصة بالزراري والنسيج التي تديرها السيدة سوسروت (Saucerotte) والمدرسة المهنية للفتيات بوهان الخاصة بالطرز والزراري تديرها فونتر فارني (Vente Vanier)³ ففي مقال بدورية:

"l'Algerie a l'exposition universelle de 1900"

¹ Gustave Couput, Op.cit, P 30.

² Ibid, P 47.

³ Gouvernement général de l'Algérie, Op.cit., P 114.

موسوم بـ "l'art d'ornementation" ان تحمس الحاكم العام في الجزائر شارل جونار بإنشاء مدرسة لتطوير صناعة الزربية في الجزائر ويعود الفضل في ذلك، إلى المديرات السابقة الذكر واللواتي كان لهن دور كبير لإنجاح المشروع الاقتصادي الرأسمالي الكولونيالي¹.

اما في مدينة تلمسان، فأنشأت السيدة صابتون (Saeton) مدرسة لتكوين البنات بمدرسة الفنون النسوية المتخصصة في صناعة الزرابي والطرز، هذا وتشير تقديرات الحكومة العامة للجزائر في سنة 1893، على وجود 6000 عاملة في قطاع النسيج والزربية في منطقة الميزاب².

بالإضافة إلى ذلك، أشارت الإحصائيات الواردة لسنة 1898، بأن السيد شوبو (Chobaut) في زيارته إلى منطقة الميزاب قدر مداخل صناعة النسيج بما فيها الزربية بقيمة مالية إجمالية قدرها 750.000 فرنك³.

نبقى في منطقة تلمسان، تشير المصادر إلى أنه في 1900، أنشأت مدرسة ثانية وهي "المدرسة المهنية الأهلية للزرابي بتلمسان" تشرف عليها لجنة الوثام الفرنسية والتي كانت بداياتها بطيئة ثم تحسنت تدريجيا بفضل المساعدين المتعاونين بدعم من السلطات العمومية الاستعمارية، حيث تذكر بأن مقاطعة تلمسان يتجاوز عدد سكانها من الأهالي المسلمين 24.000 نسمة من بينهم 8000 عاملة في مجال الزرابي، فكان الهدف الأول من ذلك حسب زعمها هو إخراج المرأة الجزائرية مما كانت عليه من صعوبات معيشية⁴ فقدمت لهن تحفيزات ومغريات في شكل إعانات مالية للحد من استيرادها للزربية المغربية، فتوسعت صناعة الزرابي في كل من مغنية، وبني صاف ووهران فنجحت تلك التجربة فاتحة الباب أمام أخرى إذ تشير ذات المصادر بأن تلك المدرسة تمكنت من تصميم زرابي الرباط والزرابي الفارسية ذات الجودة العالية⁵.

¹ Inconnu, « L'Algérie à l'exposition universelle de 1900 » n°22 ? Samedi 08 décembre 1900.

² Marcel Mercier, Op.cit., P 245.

³ Journal l'échos de Tlemcen, n°5532, du Mardi 08 novembre 1927.

⁴ Inconnu, « l'école indigène de tapis » in journal le petit Tlemcénien, n°41, Jeudi 06 février 1902.

⁵ Inconnu, l'école indigène..., Op.cit.

سجلت المرأة الجزائرية حضورها في التظاهرات الاقتصادية من خلال الزربية والأغراض التي كانت تصنعها ، ومما نستدل به، تلك المعروضات من مختلف الوسائل والأغراض التي تستعمل في الحياة اليومية والتي نقلتها مصادرها حيث وجدت مجموعة من تلك الأغراض بقاعة المعروضات بباريس والتي كان يشرف عليها ستيفان غزال (Stephane Gzell) الذي كان محافظا لمتحف الجزائر وأستاذا بالمدرسة العليا رفقة فيالار (Vialard) المحافظ النائب له ، ففي الواجهة العليا للقاعة المخصصة للمعرض ، وضعت قطع من القماش تعود إلى فترة قديمة من ستائر وقبعات حمراء وأقمشة مطرزة، وفي وسطها مجموعة من الحلي العربية والبربرية مرشوشة بالمرجان والأحزمة، كما وجدت ورشتين ، الأولى بها بنات ينتمين إلى المدرسة المهنية للزراي بالجزائر والتي كانت تسيرها ديلفان (Delfan)، وورشة ثانية تعرف بجناح الصحراء بها زراي، وأدوات خاصة بالمتجمع التاريخي، وصور لنساء يعملن في النسيج.¹

مما يزيد في مكانة الزربية الجزائرية، هو أن المؤسسات التي كانت تتولى صناعة الزراي، تطورت بشكل ملفت للنظر من خلال الزيارات المفتوحة للجمهور على مراكز التكوين والتلقين الخاصة بالزربية، فأكدت السيدة “صايتون” بأنها كانت تستقبل الزوار أثناء ساعات العمل من الساعة 8 إلى 11 صباحا، ومن 13 إلى 16 مساء.²

تكمن أهميتها أيضا، في المداخل التي كانت تجنيها السلطات الاستعمارية من وراء الزربية، فالإحصائيات الجمركية صرحت بعائدات الزربية لقاء تصديرها إلى فرنسا والدول الخارجية، إليكموها من خلال الجدول المبين:

السنة	الكمية (بالقنطار)	القيمة المالية
1901	97	83000
1910	398	3.58.000
1924	1321	4.887.000
1925	1298	5.802.000

¹ Gouvernement général de l'Algerie, Op.cit, P 55.

² Inconnu, l'école..., Op.cit.

المصدر: l'école indigène de tapis

من الشركاء الذين ذكرتهم الجريدة نذكر: إنجلترا - المغرب الأقصى - الولايات المتحدة الأمريكية - بلجيكا - هولندا - السويد.

نبقى مع الأهمية المالية للزربية الجزائرية والتي كانت مستغلة أيما استغلال من قبل الإدارة الاستعمارية بحيث أن مداخيلها السنوية تمثل 6.000.000 فرنك، فكانت السلطات الاستعمارية تروج للزربية الجزائرية عن طريق الدعاية، والتصدير، فكانت تروجها باسم "زربية الشرق" وليس الزربية الجزائرية بداعي تمييزها عن غيرها كالزربية الفارسية مثلا، فكانت تباع بسعر يتراوح ما بين 150 إلى 300 فرنك للمتر المربع بسعر أقل من زربية تركيا وبلاد الفرس¹.

5.. خاتمة:

بعد رحلتنا البحثية هذه، يمكننا القول بأن الزربية امتداد إنساني ترعرع في الجزائر جغرافيا قبل الاحتلال، توفرت لدى النشاط البشري عناصر قوة هذا المنتج - الزربية - الذي كان يلعب دورا كبيرا في تلبية متطلبات الأسرة والعائلة سيما وأن المجتمع الجزائري، مجتمع كان يعيش على الاقتصاد التقليدي، فكانت معظم الخيام تربي فيها الثروة الحيوانية التي وجدت فيها بعض المناطق مصدر رزق تحكمت فيه الظروف الطبيعية والبشرية، فالمناطق السهبية تميزت بوفرة في ثرواتها الحيوانية ما جعلها تنشط في هذا الاتجاه أولا، ولما انتبعت السلطات الاستعمارية راحت تعمل على استغلال ثرواتها بقوة الأشياء وبذلك كانت الزربية الجزائرية ضمن مشاريع السياسة الاقتصادية الرامية إلى تشكيل البرجوازية الجديدة التي كانت في خدمة المشروع الاقتصادي الراسمي، من نتائجه أن أصبحت فرنسا تمول احتياجات السوق الاستهلاكية الأوروبية لما كانت تحتاجه لصناعاتها النسيجية، وأن عائدات صادراتها من بيوع الزرابي يعد رأسمالا جديدا للإقلاع بمشاريعها الأخرى.

6.. الببليوغرافيا:

1. Syndicat d'initiation de Tlemcen. Tlemcen et sa région. 43 Toulouse. 1921.
2. A. Bel et P. Ricard, Le travail de la laine à Tlemcen, Typographie Adolphe Jourdain, Alger, 1913.
3. Jean Servier. Les portes de l'année. Rites et symboles. ed Lefort. Paris. 1962.

¹ Inconnu, « Les tapis indigènes » in l'échos de Tlemcen, n°5532, Mardi 08 novembre 1927.

4. Prosper Picard. Techniques et rites du travail de la laine en Algerie. Librairie orientaliste Paul Genthem.Paris.1928.
5. Marcel Mercier. La civilisation urbaine au Mزاب. Etude de sociologie africaine. Imprimerie administrative et commerciale Emile Pfister. Alger. 1922.
6. Gustave Couput. Les laines et les industries lainières de l'Algerie a l'exposition de 1889. Girault imprimeur du gouvernement général de l'Algerie. Alger. 1889.
7. P. de Prat. Aide-mémoire de l'industrie textile. 2 ed. Librairie polytechnique. Paris.
8. Gouvernement General de l'Algérie. Exposition coloniale de Marseille (Avril/Octobre) Alger.1906.
9. Journal (L'Algérie a l'exposition universelle de 1900). N 22. Samedi 08 Décembre 1900
10. L'écho de Tlemcen. N 5532 du Mardi 08 Novembre 1927.
11. « L'école indigène de tapis » in Journal le petit Tlemcénien N 41. Du Jeudi 06 février 1902.